

طول الأمل وآثاره التربوية

أضحكتني: مُؤْمِلُ الدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ. وَغَافِلُ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَصَاحِكٌ بِمَلْءٍ فِيهِ لَا يَدْرِي أَسَاطِطُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ أَمْ رَاضٍ عَنْهُ» (المحجة البيضاء، ج ٨، ص ٢٤٦).

وفي الروايات الإسلامية إشارات واضحة في هذا المعنى حيث يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَنْ أَيْقَنَ أَنَّهُ يُقَارَقُ الْأَحْبَابَ وَيَسْكُنُ التُّرَابَ وَيُوجَّهُ الْحَسَابَ وَيَسْتَنْبِي عَمَّا خَلْفَ، وَيَفْتَقِرُ إِلَى مَا قَدَّمَ كَانَ حَرِيصًا بِقَصْرِ الْأَمَلِ وَطُولِ الْعَمَلِ» (بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٦٧).

٢- الجهل بالآخرة والثواب العظيم: الَّذِي أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً فِي أَنْ يَتَصَوَّرَ الْإِنْسَانُ الْخُلُودَ لهذه الحياة الدنيا ويعرق في الأوهام والتمنيات والآمال الدنيوية وأحياناً يتسبب جهله بالسعادة الكامنة في الزهد والتحرر من أسر الشهوات والنوازغ الدنيوية إلى أن يحرق نفسه بنار طول الأمل.

وقد ورد في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: «اسْتَجْلِبْ حَلَاوَةَ الزَّهَادَةِ بِقَصْرِ الْأَمَلِ».

٣- الغفلة عن قدرة الله: أحياناً يغفل الإنسان عن قدرة الله تعالى ويتسوى هذه الحقيقة الحاسمة في واقع الحياة أو يكون جاهلاً بها ولا يعلم أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَمُنْذَ انْعِقَادِ نَطْقَتِهِ فِي رَحِمِ أُمِّهِ فَإِنَّهُ بَعِيْنُ اللَّهِ وَمَحْمُودُ عَنَانِيَّتِهِ وَرِعَايَتِهِ فِي كُلِّ أَمْرِهِ فِي حِينِ أَنَّهُ كَانَ يَعْشَى الضَّعْفَ بِمَنْتَهَاهُ وَلَا تَصِلُ إِلَيْهِ يَدُ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ لَتُعِينَهُ وَتَوْصِلَ إِلَيْهِ رِزْقَهُ فِي ظِلْمَاتِ الرَّحْمِ، وَتَسْتَمِرَّ عَنَانِيَّةُ اللَّهِ بِهِ إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ، وَكَذَلِكَ حَالُ أَوْلَادِهِ إِذَا كَانُوا يَسِيرُونَ فِي خُطَى الْإِيمَانِ وَالصَّلَاحِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتْرَكُهُمْ لَوَحْدِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ فَلَا مَسْوَغَ لَأَنْ يَتَّعِبَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ.

أجل فإنَّ الجهل بهذه الأمور يؤدي بالإنسان إلى أَنْ يُسَجِّلَ اسْمَهُ فِي دَائِرَةِ (التَّائِمِينَ عَلَى الْحَيَاةِ وَلَهُ الْبَاقِيَّةُ) وهكذا يتورط بمصيدة طول الأمل.

إن جميع حالات الجهل هذه (جهل الإنسان بنفسه، جهله بالدنيا، جهله بقدرة الله تعالى، جهله بالآخرة ونعيمها الخالد) يتسبب في أن يعيش الإنسان الحيرة والضياع في صحراء الحياة المحرقة أسير الآمال والتمنيات العريضة.

فقام وجعل يعمل فساءله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقممت إلى مسحاتي.

بما أَنَّ طول الأمل له تأثير مخرب جداً على حياة الإنسان المعنوية والأخلاقية وحتى الدنيوية والمادية أيضاً، فإن الروايات الإسلامية قد ذمت هذه الخصلة بتعابير مختلفة، وعلى سبيل المثال نشير إلى نماذج من هذه الروايات:

• ما ورد عن النبي الأكرم (عليه السلام): «أربعة من الشقاء جُمُودُ الْعَيْنِ وَفُسُوءَةُ الْقَلْبِ وَطُولُ الْأَمَلِ وَالْجُرْصُ عَلَى الدُّنْيَا» (بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٦).

• وعن الإمام علي (عليه السلام): «مَنْ أَطَالَ أَمَلَهُ سَاءَ عَمَلُهُ» (بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٦٣، ج ١٩٢).

• وعنه (عليه السلام) في الخطبة ١٤٧ قال: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ أَمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تَرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ وَتَرَفَعَ عَنْهُ التَّوْبَةُ». وعنه (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: «الْأَمَانِي تَعْمِي عَيْنَ الْبَصَائِرِ» (غرر الحكم، ج ١٣٧٥).

دوافع طول الأمل وأسبابه:

١- الجهل وعدم الإطلاع على حال الدنيا: وما فيها من التغيرات والإبتلاءات وعناصر التضاد في حركة الحياة، وكذلك الجهل بقدرة الله ولطفه وثوابه العظيم في الآخرة، فمجموع هذه الجهالات تدفع الإنسان إلى منزلقات طول الأمل والتمنيات العريضة. فإن الإنسان وبسبب جهله لنفسه وعدم الالتفات إلى هذه الحقيقة وهي أَنَّهُ قَدْ حَيَّيْنِ أَجَلَهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَيَرْحَلُ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا، فَقَدْ تَعَرَّضَ جُلْمَةً مِنَ الدَّمِ فِي شَرَايِينِ قَلْبِهِ أَوْ دِمَاغِهِ فَيُصَابُ بِالسَّكَةِ الْقَلْبِيَّةِ أَوْ الدِّمَاغِيَّةِ أَوْ يُصَابُ بِزَلْزَلَةٍ أَوْ حَرِيقٍ أَوْ حَادِثَةٍ سَيَّارَةٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْهِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةَ، نَعَمْ وَيَسَبِّبُ جَهْلُهُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ فَإِنَّهُ يَتَوَرَّطُ فِي شَرَائِكِ الْأَمَالِ وَالتَّمَنِّيَّاتِ الْبَعِيدَةِ وَيَحْسِبُ أَنَّ عَمْرَهُ طَوِيلٌ جَدًّا ثُمَّ يَحِيطُ نَفْسَهُ بِطَائِفَةٍ مِنَ التَّصَوُّرَاتِ الْوَاهِيَةِ وَالْأَمَالِ الْبَعِيدَةِ الَّتِي لَا تَسْمَحُ لَهُ بِأَنْ يَفْكَرَ بِالْوَاقِعِ وَبِالْحَقَائِقِ الْمَحِيطَةِ بِهِ. وَهَذَا يَقُولُ سُلَيْمَانُ الْفَارَسِيُّ التَّمَنِيْدُ الْكَبِيرُ لِمَدْرَسَةِ الْوَحْيِ: «ثَلَاثُ أَعْجَبَتْنِي حَتَّى

محاور الموضوع الرئيسية:

- الأمل بين الذم والمدح
- الآثار السلبية لطول الأمل
- دوافع طول الأمل وأسبابه وعلاجه

الهدف: التعرف إلى مفهوم طول الأمل وأسبابه، وآثاره على حياة الإنسان وعلاقته بربه

تصدير الموضوع: قال النبي: «إِنَّ أَشَدَّ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ خَصْلَتَانِ: إِتْبَاعَ الْهَوَى وَطُولَ الْأَمَلِ، فَأَمَّا إِتْبَاعُ الْهَوَى فَإِنَّهُ يَبْعِدُ عَنِ الْحَقِّ، أَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ يَحْبِيبُ الدُّنْيَا» (المحجة البيضاء، ج ٨، ص ٢٤٥).

الأمل بين الذم والمدح:

إن (طول الأمل) من الرذائل الأخلاقية التي تجر الإنسان إلى ارتكاب أنواع الذنوب والخطايا ويتبعه عن الله تعالى وتسلك به في خط الشيطان. وبالتالي يترتب على ذلك الكثير من العواقب الوخيمة. وهذا لا يعني أن الأمل رذيلة بالمطلق، فإن أصل (الأمل) له دور مهم في إدامة حركة الحياة والتطور البشري في الأبعاد المادية والمعنوية. فإذا سلب الأمل - مثلاً - من قلب (الأم) فإنها لا تجد دافعاً لإرضاع طفلها وتحمل أنواع المشقة والألم بتربيتها وتنشئته كما ورد هذا المعنى في الحديث النبوي الشريف «الْأَمَلُ رَحْمَةٌ لَأُمِّي وَلَوْ لَا الْأَمَلُ مَا أَرْضَعَتْ الْوَدَّةُ وَلَدَهَا وَلَا غَرَسَ غَارِسُ شَجَرَهَا» (بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٧٣).

وإن من يعلم مثلاً بأن هذا اليوم هو آخر يوم من حياته أو أَنَّهُ سيموت بعد أيام قليلة ويغادر الدنيا فإنه سيترك جميع ما في يده من أعمال ونشاطات في دائرة المعيشة والعلاقات الاجتماعية..

ونقرأ هذا المعنى في ما ورد عن المسيح (عليه السلام) (أنه كان جالساً يوماً في مكان وشاهد شيخاً كبيراً يحفر الأرض بمسحاته ويعمل على سقي الأرض وزراعتها، فطلب المسيح (عليه السلام) من الله تعالى أن يسلب منه الأمل في الحياة: اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم أزدد إليه الأمل



إليه يصعد الكلم الطيب

الآثار السلبية لطول الأمل:

إن للأمال والتمنيات آثاراً ونتائج مدمرة كثيرة في حياة الإنسان المعنوية والمادية منها:

١. أنه مصدر الكثير من الذنوب: إن أحد أسوأ الآثار السلبية لطول الأمل والتمنيات العريضة هي أنها تدعو الإنسان للتورط بأنواع الذنوب لأن الحصول على متعلقات هذه الآمال والتمنيات لا تستنى عادة إلا بطرق غير مشروعة، وعليه فإن من يعيش هذه الرذيلة الأخلاقية يجد نفسه مضطراً إلى الغش عن الكثير من مسائل الحلال والحرام في سبيل تحقيق أمنياته وأن لا يراعي في ذلك حقوق الآخرين ولا ممنوعات الشريعة المقدسة، فيتحرك من موقع غضب حقوق الناس، أكل أموال اليتامى، التطفيف في الميزان، أكل الربا، الرشوة وأمثال ذلك.

ولهذا السبب فقد ورد الحديث المعروف في (غرر الحكم) «مَنْ طَالَ أَمَلُهُ سَاءَ عَمَلُهُ» (بحار الأنوار، ج ١، ص ١٥٦). وجاء في النقطة المقابلة لذلك: «مَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ حَسُنَ عَمَلُهُ».

٢. قسوة القلب: ورد في الحديث الشريف أن الله تعالى خاطب موسى وقال: «يَا مُوسَى لَا تُطَوِّلْ فِي الدُّنْيَا أَمَلَكَ فَيَقْسُو قَلْبَكَ، وَالْقَاسِي الْقَلْبَ مَتَى بَعِيدٌ» (ميزان الحكمة، ج ١).

ونفس هذا المعنى ورد في حديث آخر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «مَنْ يَأْمَلْ أَنْ يَعِيشَ أَبَدًا يَقْسُو قَلْبَهُ وَيَرْغَبُ فِي الدُّنْيَا».

٣. نسيان الآجل: وهذا الأثر السلبي لا يحتاج إلى مزيد شرح وبسط، ويمكن فهمه بوضوح على مستوى الأشخاص الذين يعيشون هذه الرذيلة الأخلاقية حيث لا تجددهم يذكرون الموت أبداً ويفكرون بالآخرة بل يعيشون الغفلة التامة عن هذه الأمور المصيرية. وقد جاء في الحديث عن النبي الأكرم عليه السلام: «طَوَّلَ الْأَمَلُ يُنْسِي الْأَخْرَةَ». وورد -أيضاً- «أَكْثَرُ النَّاسِ أَمْلًا أَقَلَّهُمْ لَمَوْتَ ذِكْرًا» (تصنيف الغرر، ص ٢١٢، ج ٢١٥).

٤. الذلّة في الحياة: إن الأشخاص الذين يعيشون الآمال الطويلة مضافاً إلى كدحهم وتعبهم الدائم فإنهم يعيشون في شخصيتهم الإنسانية الشعور بالذلّة والعقارة حيث يضطرون إلى سحق حيثيتهم لغرض التوصل إلى هدفهم الموهوم والخيالي وينزعون ويخضعون أمام كل أحد ويمدون أيديهم لأي شخص كما ورد في الحديث الشريف عن أمير

المؤمنين عليه السلام: «ذُلُّ الرَّجَالِ فِي خِيَبَةِ الْأَمَالِ» (غرر الحكم، ج ٢، ص ٤٠٥).

٥. عدم إدراك الحقائق: إن الآمال والتمنيات البعيدة حالها حال السراب الذي يخدع الظمآن في الصحراء المحرقة ويجره إليه ليعيش الظمأ والعطش أكثر دون أن يصل إلى مقصوده. فهذه الآمال والتمنيات تظهر الأمور الواقعية بأقنعة مزيفة ولذلك لا يدرك الإنسان أين يذهب وإلى أين يتجه. عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله «الْأَمَانِي تَعْمِي عُيُونَ الْبَصَائِرِ» (غرر الحكم، ج ١، ص ١٣٧٥).

علاج طول الأمل:

١- ذكر الموت والآخرة: إن من أقوى العوامل المؤثرة في تقصير الأمل في الدنيا هو ذكر الموت الذي يزِيل عن بصيرة الإنسان حجب الغفلة: ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة ٩٩ في نهج البلاغة قوله: «أَلَا فَادْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ، وَمُنْقَصِ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعِ الْأَمْنِيَّاتِ».

وعن النبي الأكرم عليه السلام: «عُدَّ نَفْسُكَ فِي أَصْحَابِ الْقُبُورِ» (بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٢٢).

كما يجب على الإنسان أن يعلم أنه كائن مُعرّض للتلف والموت وأن الفاصلة بينه وبين الموت قليلة جداً، فهذا اليوم يعيش السلامة والصحة والنشاط ولكن قد تجده غداً وهو متورط بأنواع الأمراض الصعبة أو المصائب المحزنة، واليوم هو قوي وغني، وغداً يمكن أن يبدو ضعيفاً ومن أفقر الناس، والنماذج على ذلك كثيرة في صفحات تاريخ البشرية.

وعليه أن يتدبّر ويتأمل هذه الحقيقة، وهي أننا نعتقد بالمعاد واليوم الآخر والحساب الإلهي في عرصات المحشر والثواب والعقاب على الأعمال والأفعال في الدنيا وأن هذا العالم ما هو إلا قنطرة وجسر يعبر عليه الإنسان إلى تلك الحياة الخالدة فعليه أن يتزوّد من هذه الحياة ولا يتصور أنها حياة خالدة وأنها هي الأصل والهدف من الخلقة.

٢- معرفة حقيقة الدنيا: ومن جهة أخرى يجب أن يتفكر في اهتزاز الدنيا وتغيرها الدائم وعدم اعتبارها. وكذلك يتفكر في أن الحرص على جمع الأموال والثروات واكتنازها لغرض تحقيق تلك

الآمال والتمنيات الواسعة في الحياة الدنيا لا يجلب له السعادة أبداً، بل سيزيده شقاءً ومحنةً أيضاً. وأن أفضل الطرق للوصول لهذا الهدف

هو ما ورد في الحديث النبوي المعروف: «خُذْ مِنْ دُنْيَاكَ لِآخِرَتِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ، وَمَنْ صَحَّحَكَ لِسَقَمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَسَمُكَ غَدًا» (بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٢٢).

٣- معرفة الآثار السلبية المترتبة عليه: والطريق الآخر للتصدي لطول الأمل وتضعيفه في واقع النفس هو مطالعة الآثار السلبية المترتبة عليه، ومعرفة أن طول الأمل يعد مصدراً للكثير من الذنوب والرذائل الأخلاقية، ومن الأسباب المهمة لقساوة القلب ونسيان الآخرة، وأن يعيش الإنسان حياة التعب والذلّة والحرمان من النعم والمواهب الإلهية، وهي تسدل على بصيرته وعقله حجاباً سميكاً لا يدعه يرى الحقيقة من موقع الوضوح في الرؤية. كل ذلك يتسبب في أن يتحرك الإنسان على مستوى التفكير الجدي في علاج هذه الحالة السلبية قبل أن يدمر سيل الأمل بيت سعادته وبذلك يقوم بتجديد آماله وتهذيب تمنياته ليعود إلى صف العقلاء والسعداء الذين يعيشون الأمل بشكل معقول ومنطقي.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «احْذَرُوا الْأَمَانِيَّ فَإِنَّهَا مَنَابِئُ مُحَقَّقَةٍ» (تصنيف غرر الحكم، ص ٣١٤).

الآمال والتمنيات الإيجابية والبناءة: إن الآمال والتمنيات ليست بأجمعها سلبية، لأن هذه الآمال والتمنيات إذا كانت متجهة نحو القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية الرفيعة، أو تصب في دائرة الخدمة الاجتماعية وتتحرك في خدّ تكامل المجتمع وتطوره الحضاري في مراتب الكمال وتقود الإنسان إلى السعي وبذل الجهد أكثر في هذه المسائل، فلا شك في أن مثل هذه الآمال والتمنيات حتى لو كانت طويلة فإنها ليست فقط غير مذمومة بل من علامات الكمال الإنساني للفرد. وهذا هو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: «إِنَّمَا لِلَّذِينَ زَيْنَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا» (سورة الكهف، الآية ٤٦).

ورود في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ لَيَقُولُ يَا رَبِّ ارْزُقْنِي حَتَّى أَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا مِنْ أَعْمَالٍ وَوَجَّهَهُ الْخَيْرَ، فَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُ بِصِدْقِ نِيَّتِهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا يَكْتُبُ لَهُ لَوْ عَمِلَهُ، إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ كَرِيمٌ».

وكما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مَنْ تَمَنَّى شَيْئًا وَهُوَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رِضًا، لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَعْطَاهُ».

